القيـــد الحديدى

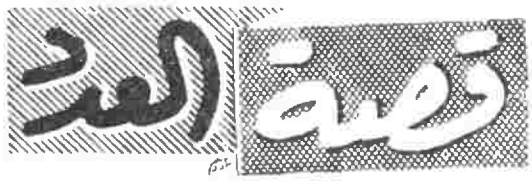

قصة العدد

« مهداة إلى أولئك الذين لا يعرفون أن للمال بريقا يعمى ويبصر . »

لأول مرة شعر محمود بالمسئولية الثقيلة بعد وفاة والده ، وكان عليه وهو الذى لم يعود نفسه على مواجهة الحياة وأيامها السود ، فبدد من يده ثروة لم يكن يحلم بها إرضاء لطيشه وكبريائه . كان عليه أن يعود إلى أهله ويعول أمه العجوز وأخاه الذى كان يتعثر فى سنته العاشرة ، وشقيقته سعاد التى لم تكن تملك من دنياها إلا جاذبية تحسد عليها ، ولو لا أنها كانت فقيرة لما اختلفت عن بنات الذوات فى زهوها بجمالها واعتدادها بنفسها ، وشغفها بكل ما كان يجد فى عالم الفتاة العصرية !

وتحتم على محمود أن يدبر لهم المال الذى يطعمهم ويسقيهم ويدفع عنهم شر المرض والبرد والتشرد ، وكان كل ما ورثه عن أبيه بيتا أصبح من كثرة الترميم كالأطلال فى مهب الريح ، وبضع «روبيات» لا تكفيهم لأكثر من أيام معدودات وجاهد فى بادىء الأمر فى ضغط المصروفات إلى حد التقتير!

ولكن أسعار الأشياء المقومة لحياتهم ، كانت ترتفع كل يوم إرتفاعا جنونياً لا حد لها ولا ضابط ، ووجد نفسه كالكلب يلهث وراء (تنكة الماء) ! !

وراح ينظر إلى المستقبل الرهيب كما ينظر إلى مجهول يطبق أجفانه ويفتحها عليه ، لقد افترش هو وأهله الأرض ، والتحفوا السماء ، وشربوا السراب ، وأكلوا الجدب ، وأصبحت الحياة بالنسبة إليهم مجاعة تهددهم بالفناء .

وأحس محمود فى تلك اللحظة الحرجة ، أنه فى حاجة إلى حنان يعينه على الكفاح ، ولكن أنى له أن يوفق بين زواج سعيد ، وإعواز كان يمسك عليه أنفاسه ، ولكنه لم ينظر إلى الحياة هذه النظرة الفلسفية التى لا تخلو من الواقع الأليم ، لأنه كان مدفوعا بقوة كامنة فى أعماق نفسه إلى شىء رأى فيه ما يخفف عنه الصدمة ولو إلى حين .

وعاد بذهنه إلى الماضى فتذكر عبد السميع صديق المرحوم والده ، وتذكر أن أباه — رحمه الله — قد أحسن عليه حينما كان لا يملك من الدنيا إلا حطاما وتساءل : لماذا لا يستدين من ثروته الضخمة بعض المال ؟ وتساءل مرة ثانية : ألا يجوز أن يرفض عبد السميع طلبه وهو الذى عرف ببخله على زوجاته الثلاث ! . ومشاكسته لهن كلما أردن أن يقدمن للضيوف واجب الضيافة ؟ !

ولكن ما كاد محمود يرى عبد السميع وهو يستقبله بابتسامة عريضة ، ويضع فى يده المال الذى طلبه ، حتى خيل إليه أن الرجل الذى جاوز السبعين مظلوم ، وأن كل ما قيل عنه ما هو إلا محض افتراء .

أقرضه عبد السميع ديناً كبيراً دون أن يشترط عليه أية فائدة ، مما أثار دهشته وأخرجه عن اتزانه ، فانحنى على يد عبد السميع يلثمها فى حرارة غريبة .

وأم محمود لم تنس هى الأخرى أن تسأل ربها العمر المديد ، والنعمة الدائمة ، والجزاء الأوفى للصديق الذى تذكرهم وقت الشدة .

ودفع محمود بنصف الدين ما عليه من الديون ! وقسم النصف الباقى بين تكاليف زواجه ومصاريف البيت ، ثم أخذ يطرق الأبواب بحثاً عن بنت الحلال موئل آماله ورجائه ، والدنيا لا تكاد تسعه لفرط فرحته بذلك الفرج الذى لم يكن يتوقعه ، ولكنه كلما طرق بابا أغلق دونه فى قسوة وعناد .

وأظلمت الدنيا فى عين محمود ، وعرف أن الزواج مستحيل عليه حتى يحطم ذلك القيد الذى كان يلتف حول عنقه كحبل المشنقة ، ونسى على مر الأيام فكرة الزواج أو تناساها ، وأصبح الدين شغله الشاغل ، وأصبح عبد السميع الشبح المخيف الذى يطارده حيثما ذهب ، ورمى نفسه على عتبة شخص آخر كان يعرف أباه معرفة وثيقة ورجاه أن يتوسط له عند أحد أصحاب الشركات .

وسأله مدير الشركة عن مؤهلاته ، فلوح له بساعده فى الهواء وهو يقول له فى اعتداد : هذا كل مؤهلاتى ! ولم يقل له المدير شيئاً وإنما ألحقه فى عمل مرهق .

وبعد ستة شهور ذاق محمود خلالها ألوانا من البؤس والحرمان ، حاول أن يعرف مقدار ما جمعه ، فوجد أن استمراره فى ذلك العمل الشاق لن يخلصه من دين عبد السميع إلا بعد خمسة أعوام ، فلم ييأس ، وصمم على أن يضغط هذا الدهر الطويل ! إلى عامين اثنين ، وضاعف جهوده فواصل الليل بالنهار ، وكلف نفسه أكثر مما تستوعبه طاقة البشر ، وكان كل شيء يتضاءل فى عينيه أمام ذلك الدين الثقيل وشغل محمود أوقات راحته بالأعمال المضنية ، حتى بدأ الهزال يسرى فى جسمه النحيل وحاول أصدقاؤه أن ينصحوه ليشفق على نفسه ولا يكلفها فوق قدرتها ، ولكن دون جدوى ، بل وجد محمود فى الحاح أصدقائه عليه ما ضايقه أشد المضايقة ، ففضل العزلة .

وهكذا تجمعت على قلبه الضعيف معاول الدّين والحب والعمل والأملاق والوحدة ، وأخذت تضربه فى عنف حتى حطمته .

مات محمود وترك أمه وأخاه وشقيقته سعاد تحت رحمة القدر ، وماكاد عبد السميع يسمع بموت محمود حتى أرسل محاسبه إلى أم محمود يطالبها بدفع الدين ، ودفعت أم محمود المحاسب كل ما أدخره ابنها الراحل ، وظلت تتوسل إليه بكل ما يثير جامد العواطف ليتريث حتى يفتح الله لابنها الصغير بابا من أبواب الرزق .

فقال لها المحاسب وقد لاحت على فمه ابتسامة عارضة ، يا أم محمود أنت لا تعرفين عبد السميع صديق المرحوم زوجك ، إنه رجل نبيل ، يحب الاحسان ويكره الاساءة ، واستطرد المحاسب يقول بينما ظلت أم محمود تقاطعه بالأدعية الصادقة للصديق الكريم . . . وإنه بحكم صداقته للعائلة يتنازل عن الدين كله . . . وبحركة لاشعورية اندفعت أم محمود كتلة واحدة لتقبل يد المحاسب ، ولكن المحاسب أسرع ورفع يده من أعلى المنضدة ، وقال وهو يلوح لها بوثيقة الدين : ولكن له رجاء بسيط يا أم محمود ، وقفزت يدها آلياً إلى عينها ورأسها وهى تقول : إن رجاءه على العين والرأس . . . واعتدل المحاسب فى جلسته وقال : إن عبدالسميع يطلب يدسعاد ؟ وغمغمت أم محمود فى ذهول ! سعاد !

وقال المحاسب مهدداً ، من مصلحة ابنتك أن تقبل هذه التسوية مختارة لا مرغمة .

وأطرقت أم محمود طويلا ، وشعرت بأن آلام سبعين سنة تجثم عليها دفعة واحدة ، لتذوب نفسها ، وتفتت قلبها العامر بالإيمان ، فضجت أعصابها ، وازدحمت نفسها بالآمال المحطمة ، كيف تزوج فلذة كبدها عجوزاً يجمع فى بيته ثلاث زوجات أصغرهن جاوزت الأربعين ! وكانت دائماً تمنى نفسها بأن يمد الله فى عمرها حتى تطمئن إلى أن وحيدتها أصبحت فى رعاية زوج يحنو عليها وينسجم معها فى السن والمزاج . . . لقد عقدت المفاجأة القاسية لسانها ولم تقل شيئاً ، وإنما راحت تمسح دمعة سخينة انحدرت على خدها الشاحب الضئيل .

وران فترة صمت كادت تطول ، لو لا أن سعاد أسرعت وأزاحت الستارة التى كانت تصغى من ورائها لما كان يدور بين أمها وبين المحاسب من حديث . . . واندفعت نحو المحاسب . وكادت تفقد السيطرة على نفسها وتصرخ فى وجهه ، ولكن هالها أن ترى الدموع تخنق أمها فى صمت ، فنكست رأسها واستسلمت لإرادة الذئب العجوز .

يوسف محمد الشايجى

عندنا أدباء

(بقية المنشور على صفحة ٣)

ولايقفون فى و ٤٠ أى مشروع من شأنه بث الروح الأدبية الخالدة ، ورفع مستوى التفكير ، وخدمة الوطن الحبيب . بل إنهم على العكس من ذلك ؛ يحبون كل خير ، ويشجعون كل فكرة مفيدة ؛ وليس موقفهم من « نادى المعلمين » ببعيد ، وسوف تثبت لنا الأيام صدق ما ندّعى . على أننا يجب أن نقول صراحة ، أن على المسئولين فى البلاد واجبات أكثر ، ومسئوليات أعظم ، تنتظر منهم العمل والإنجاز ، وقد قلنا مراراً وتكراراً ، أن هذا العصر – عصر الكهرباء والذرة – إنما هو عصر السرعة ، وإن علينا مجاراته فى جميع تطوراته ، ولايمكن لنا أن نجاريه ، مالم نعمل بصدق وإخلاص ، ولايمكن أن نعمل بصدق وإخلاص مالم نكن مطلعين على جميع مرافق تطورات الحياة العامة فى هذا العالم ، ومالم نكن ملمين إلماما واسعاً بكل حركة من حركاته العجيبة السريعة؛ ووسائل الاطلاع وفيرة متيسرة وفى متناول كل يد تمتد إليها .

إن المميزات التى تمتاز بها الكويت لاتتوفر فى أى بلد عربى آخر ، وإن وسائل العمل لواسعة ، ومجال الخدمة لفسيح ، وإننا لنرجوا أن نكون قد أعددنا العدة الكافية واتخذنا كل أسباب العمل لتنفيذ ماعلينا من واجبات

حقق الله الآمال ، ووفق العاملين ، وأخذ بيد الجميع إلى ما فيه خير الوطن .

رئيس التحرير